من وراء البحار

الملك هنرى الثامن وزوجاته

أخذت إديث ستويل الأديبة الشاعرة الإنجليزية تضع كتاباً فى طفولة الملكة اليزابيث التى تسلقت إنجلترا فى عهدها إلى المكان الأول بين الدول المسيطرة على البحار بعد أن هزمت أسبانيا منافستها فى ذلك العصر .

وقد نشرت مجلة « الحياة والأدب » الإنجليزية نبذاً من هذا الكتاب تدل على أن المؤلفة درست موضوعها دراسة عميقة ، وأبدت مهارة فى تحليل الشخصيات لا سيما أن أكثرها من النساء . وفى العدد الأخير الذى وصل إلينا من تلك المجلة ، عدد أغسطس ، نبذة طريفة عن الملك هنرى الثامن والد اليزابيث ، وكاترين هوارد التى اتخذها زوجة ثالثة بعد أن فقدت آن بولين زوجته الثانية ووالدة اليزابيث رأسها على المقصلة ، ولم يكن حظ الزوجة الثالثة خيراً من ذلك .

رأى الملك كاترين هوارد عند الدوقة أوف نورفلك العجوز وكانت ابنة لزوجها ، وأمها قريبة لآن بولين ، فأعجب بجمالها وأخذ يكثر من التردد على قصر الدوقة . وذاع بين رجال البلاط ونسائه أن الملك أعجب بالصغيرة ، وشعرت الفتاة بهذا الحب وابتهجت له ، فزوجة والدها لا تستطيع الآن أن تقدم على ضربها وأخذت الفتاة تتذوق لذة الحياة ومباهجها ، فالدوقة لا تستطيع الآن أن تحرمها الثياب البهيجة .

كانت الدوقة حادة الطباع مقترة على الفتاة فى صباها ، ولكنها لم تكن تعنى بتربية هذه الابنة أكثر من إظهار غضبها على الفتاة لما ترتكبه من أخطاء بسيطة .

وعلى قول المؤلفة « كانت هنالك أيام بل أكثر من ذلك ليال وهى طفلة فى الثالثة عشرة والرابعة عشرة من عمرها ، وهى صبية فى الخامسة عشرة والسادسة عشرة ، تعرف سرها وصيفات جدتها ، وذلك لأنهن شاهدن كل شىء » كم شخصاً يعرف تلك الأسرار ؟ حاولت كاترين أن تتذكر ، واستولى عليها

خوف مروّع عند ما أخذت تفكر فى هذا العدد . آه لو أمكن محو هذه الأيام والليالى من لوح الذاكرة ، أو لو أمكن موت جميع الذين يعرفون هذه الامور من الأحياء !

فهى الآن فى التاسعة عشرة من عمرها والملك يريدها زوجة ، ولكنها تتلقى رسائل من نساء عرفنها ، كل منهن تطلب أن يكون لها مكان إلى جانبها فى القصر فاذا تفعل ؟

كان أمامها أحد أمرين : إما أن تكون ملكة تعيش وسط المخاوف فى حين تتمتع بالملك وما يحيط به من مسرات ، وإما أن تعترف بكل شىء وتنزل عن التفكير فى أن تكون ملكة . وقد اختارت كاترين الطريق الأول وواجهت الأخطار .

وجعلت بعض هؤلاء النساء فى حاشيتها .

كانت حياة البلاط فى مبدأ الأمر مرحة ، ولكن الملك لم يلبث أن مرض مرضاً خطيراً وأصابته حمى ، على أن موضع الخطر كان فى رجله التى زاد فى آلامها أن الملك بدين نهم فى طعامه ، غير أنه أخذ يتماثل إلى الشفاء فى بطء ، وقرر أن يرحل فى الصيف إلى يورك لزيارة تلك الجهات مع ملكته الجديدة .

سار الموكب الملكى قاصداً تلك الجهات وكان السفر على مراحل ، فاذا ما نزل الركب بمكان انقلبت الأيام والليالى أفراحاً وأخذ الجمع فى الصيد والقنص ، ففى بلدة هاتفيلد صادوا ما يقرب من مائتين من الغزلان .

وفى ذات يوم فى تلك المدينة رأت إحدى وصيفات الملكة سيدتها تطل من النافذة ، وكانت هذه الوصيفة تكره هذه السيدة ، فحاولت أن تعرف مرمى نظر الملكة ، فاذا هى تنظر إلى قريب لها من أقرب أصدقاء الملك .

وكانت الملكة الصغيرة لا تعرف كيف تصانع من حولها ، فأوجدت من حاشيتها أعداء أخذن يراقبنها ويستطلعن حركاتها ، فرأينها ترسل رسائل خفية غير مفهومة إلى لادى روشفور إحدى وصيفاتها ، فاذا لم يأتها جواب تعود فتلح فى الاجابة فترد لادى روشفور أنها لا تزال تنتظر الرد قبل نقله للملكة !

فعادت الملكة وأرسلت رسالة مبهمة إلى لورد سفولك وجاءها مثل هذا الرد . وكان لورد سفولك زوج أخت الملك ، فلا يعقل أنه كان مشتركا فى مؤامرة غرامية . والغالب أن الغرض من هذه المفاوضات السرية ، هو الحصول على نقود

لشراء حلى أو مايماثلها . على أن كاترين على قول مس ستركلند « كشأن الناس الذين عرفوا منذ مبدأ حياتهم طرق الخطيئة وأسرارها تعودت إخفاء أمورها حتى فى المسائل التافهة التى لو عملت علناً لما أثارت أى شك » .

عاد الملكان من الرحلة إلى مقرهما ، وأقام الملك صلاة شكر على أن وهب الله له شريكة محبة . فاذا ما عاد من الصلاة وجد رئيس الأساقفة كرانمر ينتظره وهو ممتقع اللون وسلمه وثيقة ليطلع عليها ، وفيها قرا اعترافات إحدى النساء اللاتى كن يرافقن الملكة وهى صغيرة .

وهكذا بدات مرحلة التحقيق والتعذيب والموت لهذه الفتاة الطائشة التى آثرت أن تكون ملكة .

رأى فى القنبلة الذرية

كتب الماجور جنرال روان روبنسون — فى مجلة القرن التاسع عشر عدد سبتمبر — عن القنبلة الذرية وما يمكن أن يكون لها من تأثير فى الحروب فعرض لما ذكره سير وليم بفردج فى جريدة التيمس من أن زمان الجيوش والأساطيل وقوى الطيران قد انتهى بظهور هذه القنبلة وأنه من المؤكد أن الدبابات والبوارج والمدافع والبنادق صارت من آثار المتاحف .

فالعالم فى تاريخه الحافل قد شهد الكثير من التطورات فى أسلحة الحرب كان بعضها نتيجة لاختراعات بطيئة ونزل بعضها كالصاعقة مما غير وجه الحروب أجيالا . ويكفى أن نذكر اختراع البارود والديناميت وقاذفة القنابل فضلا عن البنادق البعيدة المرمى .

على أننا لو فكرنا قليلا هل من المستطاع استعمال القنبلة الذرية فى كل الأحوال : لنفرض أن دولة معتدية هجمت على دولة آمنة واحتلت أراضيها فى سرعة ، وأرادت الدول المحتفظة بسر القنبلة الذرية أن تخرجها من الأراضى المحتلة فهل تستطيع استعمال هذا السلاح ؟ إن ذلك يكاد يكون مستحيلا لأنه فى هذه الحالة تسبب خسارة للدولة التى تريد نجدتها أكثر مما تسبب للعدو .

ثم نعود إلى الغواصات وهى سلاح خطر ، فماذا تفعل القنبلة الذرية فى الغواصة ؟ فهل تلقى القنبلة عليها مع أن الغواصة تحوم دائماً على مقربة من القوافل فتودى بالاثنتين الغواصة والقافلة .

وأخطر من الغواصة القوارب الصغيرة التى كادت تؤدى بالحلفاء إلى الهزيمة والقوى المنقولة بالجو التى كانت حاسمة فى كريت وبرما .

على كل حال من الراجح ألاّ تقوم حرب فى مدى السنوات العشر القادمة خوفاً من ويلاتها . ولا تمر هذه الفترة حتى تكون قوى الذرة قد استعملت فى أغراض حربية ومدنية أيضاً فزادت من سرعة الغواصة وقوة احتمالها مما قد يؤدى بالدول التى لا تكثر من استعمال هذه السلاح إلى اتخاذ النقل الجوى بدلا من النقل البحرى .

وفى الوقت ذاته تزيد هذه القوة الذرية من مدى سرعة حاملات الجنود والمقاتلات من الطيارات بحيث يمكن نقل الجنود سريعاً إلى البلاد المعتدية .

ويغلب على الظن أن يفضل المعتدى استعمال الطيارات أيضاً على الالتجاء إلى القنبلة الذرية . وحينئذ يكون لهذه القنبلة مكان ثانوى فى الحروب .

على أن سير بفردج أبدى وجهاً آخر لخطر القنبلة الذرية ، وهو أن الفرق بين إصابة العسكريين والمدنيين يتمحى ويكونون جميعاً هدفاً لهجماتها .

وفى رأى الماجور جنرال روبتسون أن ذلك الصحيح ، وأنه كان من الواجب ألا يقوم هذا الفرق أبداً .

أوربا ووحدتها الثقافية

وصف الكاتب هودن فى عدد أغسطس من مجلة « هوريزن » الإنجليزية حديثاً جرى بينه وبين الأديب الشاعر ت . س . اليوت وقد دار هذا الحديث فى مكتب الشاعر بدار النشر الشهيرة لشركة « فيبر وفيبر » بلندن .

جلس الكاتبان يشربان الشاى فى مكتب تملؤه الكتب كما هو الشأن فى دور النشر الأوربية وعلى الحوائط بعض النماذج من تماثيل رومانية ، وتطل عليهما صور لجيته الشاعر الألمانى .

وسأل المحدث هل تعتقد أن أوربا ستعود وحدة ثقافية بعد هذه الحرب ؟

تردد الشاعر ثم أجاب فى حذر : « أظن ذلك . . . يجب أن نرمى بلا شك إلى هذا الغرض .... قد يستغرق ذلك وقتاً طويلا تقاطعه الظروف السياسية ، ولكن توجد فيما تحت ذلك قوة حية تعمل على التماسك . أجل إنه توجد حوائل قوية فى طريق هذه الوحدة ولكنى أعتقد أنها من الأمور الثابتة » .

وأخذ يوضح فكرته ، وخلاصة ما قاله ان أوربا تتألف من عدد من الأمم الصغيرة والمتوسطة ، على جانبيها أمتان كبيرتان هما روسيا وأمريكا . ومن الخطأ التمييز بين الثقافة فى الغرب والشرق . على أن روسيا ربما كانت أبعد عن التجانس مع الأمم الأوربية الأخرى . أما اتصالها الثقافى فهو أقرب إلى النفوذ منه إلى التجانس ؛ فتاريخ أوروبا ومشاكلها واحدة على حين أن تاريخ روسيا مختلف .

سئل : هل ترى إذاً خطراً على اوروبا من روسيا ؟

نظر اليوت إلى محدثه سريعاً فإنه كان يتكلم عن الثقافة لا السياسة وقال ما مؤداه : « إن الاتصال الثقافى يحتاج إلى زمن أطول من الاتصال السياسى . والراجح أن يكون نفوذ روسيا فى هذا المضمار فيه الفائدة أكبر من الضرر على أن الثقافة الروسية هى الآن فى دور تطور ، ويظهر أن الروس سيعودون إلى ما كانوا عليه فى مستوى أعلى . ولقد كان فضل روسيا على أوربا فى الماضى هو نظرتها الروحية الخاصة التى عرفها الغرب فى مؤلفات كبار الروائيين الروس . على أن روسيا تكون خطراً على أوربا إذا أعادت إلى الأوربيين أخطاءهم مكبرة كأن تشغل الآلات تفكير روسيا كما شغلت الولايات المتحدة بدلا من الزراعة والنمو . فالآلة يمكن رسمها وصنعها من الرسم ، أما الشجرة فتزرع ثم ينتظر نموها .

سئل : لقد ذكرت الدول الصغيرة فما هو دورها ، أو ما هو حظها ، فى أوربا الجديدة التى نريد لها الاتحاد ؟

فأجاب بأن هذه المسألة متوقفة على التجربة ، فمن الظاهر أن هنالك وحدات ثقافية وهى تقوم بدورها بالنسبة للجميع .